International Baccalaureate®
Baccalauréat International
Bachillerato Internacional

Extended essay cover

Candidates must complete this page and then give this cover and their final version of the extended essay to their supervisor.

Candidate session number			
Candidate name			
School name			
Examination session (May or November)	MAY	Year	2015

Diploma Programme subject in which this extended essay is registered: ARABIC A

(For an extended essay in the area of languages, state the language and whether it is group 1 or group 2.)

Title of the extended essay: المدينة في شعر محمود درويش

Candidate's declaration

This declaration must be signed by the candidate; otherwise a mark of zero will be issued.

The extended essay I am submitting is my own work (apart from guidance allowed by the International Baccalaureate).

I have acknowledged each use of the words, graphics or ideas of another person, whether written, oral or visual.

I am aware that the word limit for all extended essays is 4000 words and that examiners are not required to read beyond this limit.

This is the final version of my extended essay.

Candidate's signature: Date: Feb 2015

Supervisor's report and declaration

The supervisor must complete this report, sign the declaration and then give the final version of the extended essay, with this cover attached, to the Diploma Programme coordinator.

Name of supervisor (CAPITAL letters)

Please comment, as appropriate, on the candidate's performance, the context in which the candidate undertook the research for the extended essay, any difficulties encountered and how these were overcome (see page 13 of the extended essay guide). The concluding interview (viva voce) may provide useful information. These comments can help the examiner award a level for criterion K (holistic judgment). Do not comment on any adverse personal circumstances that may have affected the candidate. If the amount of time spent with the candidate was zero, you must explain this, in particular how it was then possible to authenticate the essay as the candidate's own work. You may attach an additional sheet if there is insufficient space here.

أنجز الطالب مقالته المطولة، وقد كانت مكتملة العناصر وقد بين في مقدمتها ما قد مدح المقالة، حيث بين بشكل واضح ارتباط المدينة بشعر درويش وقد خلص إلى نتائج جيدة عامة، ويستحق التثمين لهذه المقالة.

This declaration must be signed by the supervisor; otherwise a mark of zero will be issued.

I have read the final version of the extended essay that will be submitted to the examiner.

To the best of my knowledge, the extended essay is the authentic work of the candidate.

As per the section entitled "Responsibilities of the Supervisor" in the EE guide, the recommended number of hours spent with candidates is between 3 and 5 hours. Schools will be contacted when the number of hours is left blank, or where O hours are stated and there lacks an explanation. Schools will also be contacted in the event that number of hours spent is significantly excessive compared to the recommendation.

I spent 3 hours with the candidate discussing the progress of the extended essay.

Supervisor's signature: Date: 10/2/2015

Assessment form (for examiner use only)

Candidate session number	

Criteria	Achievement level				
	Examiner 1	maximum	Examiner 2	maximum	Examiner 3
A research question	2	2		2	
B introduction	2	2		2	
C investigation	2	4		4	
D knowledge and understanding	3	4		4	
E reasoned argument	3	4		4	
F analysis and evaluation	2	4		4	
G use of subject language	3	4		4	
H conclusion	2	2		2	
I formal presentation	3	4		4	
J abstract	2	2		2	
K holistic judgment	3	4		4	
Total out of 36	27				

Name of examiner 1 (CAPITAL letters) _____ Examiner number: _____

Name of examiner 2: _____ (CAPITAL letters) Examiner number: _____

Name of examiner 3: _____ (CAPITAL letters) Examiner number: _____

IB Assessment Centre use only: B: _____

IB Assessment Centre use only: A: _____

السنة الدراسية: 2014-2015

عدد الكلمات:3972 كلمة

اسم المشرف: عبدالعزيز رشيد

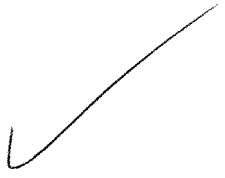

الخلاصة:

فكرت مليّاً بموضوع لهذا البحث، قلت لنفسي أن أبحث وأخصص بحثي ليكون عن موضوع قد بجذبني، بقيت أبحث عن موضوع حتى قرأت مقالة على الشبكة الإلكترونية يجمع ما بين الحقائق وبعض الإحصائيات تتحدث عن التدهور الذي حصل في عالمنا العربي في آخر سنوات والإرهاق والذل الذي عاشه أهلنا العرب في جميع أنحاء العالم العربي. ولأنني مواطن أحب وأعشق وطني و أعتز بهويتي العربية، رأيت أن موضوع الوطن قد يكون مناسب لبحثي، ولكن كان علي بأن أدخل بعمق أكثر ولذلك اخترت موضوعي بأن يكون حول الوطن والمدينة في الأدب المعاصر، ولأنني أعرف أن محمود درويش هو شاعر فلسطيني ارتبط اسمه بالثورة والوطنية وأنه عاش في كثير من المدن وأحب المدن التي عاش فيها، فبدأت أتسائل كيف لي أن أعبّر عن حبي لوطني الحبيب عن طريق الأدب؟ كما فعل الكثير من الادباء، لذلك قررت أن يدور موضوع بحثي حول المدينة في شعر محمود درويش ورأيت أن السؤال الأنسب لبحثي هو:

كيف صوّر محمود درويش المدينة العربية في شعره "القدس – بيروت – دمشق" نموذجاً؟

قرأت العديد من قصائد محمود درويش التي خصّها لمدن وحللتهم حتى وصلت إلى نتيجة وهي أن الطريقة الأنسب للإجابة على هذا السؤال من خلال البحث هو بتقسيم البحث إلى فصلين، ولكن قبل الفصلين، كتبت مقدمة تقارن المدينة قديماً بدورها الآن وتطورها، ثمّ لاحظت أن من الأفضل الكتابة عن درويش وحياته والمدن التي زارها وأثرت فيه، فبحثت عن حياته وخصصت جزء من البحث لأعطي نبذة عن حياته ، ومن ثم كان الفصل الأول والذي خصصته للمدينة الفلسطينية القدس، ولأنني وبعد القراءة المكثفة استنتجت أن القدس هي أهم مدينة في شعره فقررت أن اكتب عنها. أما الفصل الثاني بحثت فيه عن المدينة العربية في شعر درويش فبحثت وكتبت عن مدينتي بيروت ودمشق بعدما بحثت وعرفت أن كان لهما أهمية في حياة شاعرنا. وأخيراً، كتبت الخاتمة والتي فيها لخصت أهم

الاستنتاجات من هذا البحث المتواضع. وقد تعلّمت من هذا البحث، أن المفتاح الوحيد ليستطيع الكاتب وصف أي مدينة هي أن يكون هناك رابط روحي يربطهما ببعض.

الإهداء:

إلى أمي وأبي

إلى أهلي

إلى أساتذتي

إلى زملائي وزميلاتي

إلى الشموع التي تحترق لتضئ للآخرين

إلى كل من علمني حرفاً

أهدي هذا البحث المتواضع راجياً من المولى

عز وجل أن يجد القبول والنجاح

الفهرس:

عنوان الصفحة:	رقم الصفحة:
الخلاصة	2
الإهداء	3
المقدمة	6
الموضوع	8 – 22
الشاعر: نبذة عن حياته	8
الفصل الأول: المدينة الفلسطينية (القدس)	10
الفصل الثاني: المدينة العربية (بيروت ودمشق)	19
الخاتمة	26
المصادر والمراجع	28

المقدمة:

تطورت المدينة بشكل عام منذ بدء الحضارة، فكانت أولاً تهدف لتحقيق الاستقرار بين الأفراد، الاستقرار الذي دأب الإنسان للحصول عليه، وبعد أن ظهر مفهوم التعايش الجديد، والذي غيّر ما كان يطلبه الإنسان من قبل وهو فقط الطمأنينة والاستقرار والتواصل، بدأ الإنسان يفكّر ملياً بطرق ليضمن استقراره بالإضافة إلى الحماية من كل العوامل الخارجية التي قد تهدد استقراره، وفي القرن العشرين، وبعدما تطروت فكرة الاستقرار والحماية وظهرت بعدها بعض المدن الطاغية تطغي على مدن أخرى ضعيفة لا تتمكن من المقاومة ظهرت ظاهرة النزوح، ومن النازحين كان هناك بعض الأدباء، الذين تنقلوا من مدينة إلى مدينة هاربين، فالأحداث التي مرّ بها كل أديب لعبت دور الوحي في كتباته ووصفه عن أي مدينة.

شكلّت المدينة أهمية في الأدب المعاصر، لا سيّما في الأدب العربي المحلي والأدب العالمي، وهذا بسبب الدّور المهم الحسّاس الذي الذي تلعبه المدينة في طريقة تفكير وعقلية الأديب، بغض النظر عن نوع الأدب، فليكن شعراً أو نثراً، كلاهما كان اتجاه يلجأ له الأديب للتعبير والكتابة عن المدينة.

فالكاتب لا يكتب عن المدينة من خلال بحث علمي قام به لكي يوصف المدينة من ناحية علمية أو سياسية أو جغرافية، بل الكاتب عندما يذكر أي مدينة في أدبه يكون قد ذكرها من خلال عملية فكرية والتي هي نتيجة من ما يتذكره الكاتب من أحداث مرّ بها وترسّبات وأفكار حول فترة زمنية قد مر بها الكاتب في حياته تذكره بمدينة معيّنة، ولكن ليس بالضرورة أن يكون الأديب قد عاش في جميع المدن التي ذكرها و لكن قد يكون هناك بعض الاستثناءات في مدن تاريخية لم يعد لها حضور؛ هنا قد يكون الكاتب استخدم الشعور أو الأحساس الباطني العميق للكتابة عن هذه المد أو مدن أخرى بوصف من صديق عاش فيها.

حبّي لوطني ومدينتي شّدني لكتابة بحثي عن موضوع المدينة في الأدب، فاخترت موضوع المدينة في شعر محمود درويش لأنه أحد الشعراء الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة والوطن. سأعتمد على ديوان محمود درويش في الإجابة سؤال بحثي:

كيف صوّر محمود درويش المدينة العربية في شعره "القدس – بيروت – دمشق" نموذجاً؟

للإجابة على السؤال قمت بتقسيم بحثي إلى فصلين، الأول للمدينة الفلسطينية في شعر محمود درويش من خلال العاصمة القدس والفصل الثاني للمدينة العربية من خلال مدينتي بيروت ودمشق.

الشاعر: نبذة عن حياته

محمود درويش ولد في يوم 13 من مارس عام 1914 في قرية البروة في الجليل، عندما كان في السابعة نزح هو وعائلته مع اللّاجئين الفلسطينيين الى لبنان في عام 1948، ثمّ عادوا بالخفية ليروا قريتهم مهدمّة من السلطات الإسرائيلية المستعمرة، وبعد الانتهاء من التعليم الثانوي، انتقل مع عائلته إلى حيفا، للعمل في جريدة الاتحاد ومجلّة الجديد، حتى أصبح رئيس تحريرها في ما بعد، اعتقل درويش خمس مرّات من قيل السلطات الإسرائيلية 1961. وفي عام 1970، انتقل للعيش في القاهرة ومن ثمّ التحق بمنظّمة التحرير الفلسطينيّة في بيروت، مرّت الأيام حتى غزت إسرائيل لبنان في عام 1982 ممّا جعل درويش يغادر لبنان، ولهذا السّبب اضطر درويش للعيش متنقلاً من قبرص وسوريا والقاهرة وتونس وباريس، في عام 1996 عاد محمود درويش إلى رام الله وهناك واصل إصدار مجلة (الكرمل) التي أسسها عام 1981، توفيّ حديثاً عام 2008 في الولايات المتحدة الأمريكية، ولأهميته الكبيرة واسمه المحفوظ قرر حينها رئيس السلطة الفلسطينية محمود عبّاس الحداد 3 أيام في كافّة الأراضي الفلسطينية.

مسيرة محمود درويش كانت حافلة بالجوائز والانجازات الضخمة؛ فهو حاز على عشرات الأوسمة والجوائز المحليّة والأقليميّة والعالميّة، من أهمها جائزة لوتس عام 1969، جائزة البحر المتوسط عام 1980، درع الثورة الفلسطينية عام 1981، لوحة أروبا للشعر عام 1981، جائزة ابن سينا عام 1982، وجائزة لينين عام 1983. وقد تُرجمت كتاباته ومؤلفاته إلى أكثر من اثنتين وعشرين لغة عالميّة.

وهنا بعض مؤلفاته الشعرية "عصافير بلا أجنحة" و"أوراق الزيتون" و"عاشق من فلسطين" و"يوميات جرح فلسطيني" و"مديح الظل العالي" وغيرها. ومن أعمال محمود درويش والتي ذكر فيها اسماء مدن محددة أو غير محددة هي تحت "الشبابيك العتيقة" و"قاع المدينة" و"غريب في مدينة بعيدة" و"امرأة

جميلة في سدوم" و"عائد إلى يافا" و"طريق دمشق" وغيرهم من الأعمال التي ذُكرت فيها أسماء مدن عربية وفلسطينية وأروبية وتاريخية.

كباحث، يلزم علي بأن أُدقق في مسيرة الكاتب وعلاقته في المدن التي زارها وعاش فيها. ومن هنا نلاحظ بأن محمود درويش قد خصص قصائد معيّنة لكثير من المدن التي زارها وكان هناك مدن تاريخية قد ذكرها من احساسه عن المدن التاريخية مثل سدوم .

يرى الباحث، أن موضوع "المدينة في شعر محمود درويش" يستحق البحث والدراسة عنه؛ فهو موضوع لفت الانتباه الباحث بسبب الطريقة والأُسلوب والحياة التي مرّ بها الكاتب. وعندما ألقيت النظر على مدن محمود درويش في قصائده لاحظت بتنوّع في المدن مدن فلسطينينة (القدس، حيفا، يافا، الناصرة، غزة) مدن عربية (القاهرة، دمشق ، بيروت) ومدن تاريخية (روما، أثينا، سدوم وغيرها) ومدن أُروبية (باريس، روما وغيرها) وأخيرا مدن غير محددة الاسم نقاع المدينة، المدينة المحتلة و غيرها من العناوين. وبعد قراءة الأشعار، لاحظت وجود أسماء مدن أُخرى لم تذكر بالعناوين كنيويورك والناصرة..الخ. وأنا سأخصص هذا البحث المطول لمناقشة المدن العربية (بيروت، الفاهرة، دمشق) والمدن الفلسطينينة (القدس،حيفا، يافا) في شعر محمود درويش وبهذه المدن يكون قد اكتمل موضوع بحثي عن المديتة في شعر محمود درويش.

الفصل الأول

المدينة الفلسطينية

للمدينة الفلسطينية حضور واضح في فضاء درويش الشعري بشكل عام، والقدس وصورتها بشكل خاص، وإن نظرة فاحصة دقيقة لعناوين قصائد درويش تثبت أنه قد ذكر أكثر من مدينةٍ في العناوين أو الإهداءات.

القدس في شعر محمود درويش:

عند التطرق إلى المدينة في شعر محمود درويش لا بدّ من الالتفات إلى قصيدة "تحت الشبابيك العتيقة: إلى مدينة القدس وأخواتها" وهي من مجموعته الشعرية "آخر اللّيل" عام 1967، ولكن الشاعر في طبعات لاحقة غيّر الإهداء وجعله إللى القدس فقط، وتعتبر هذه القصيدة من عيون قصائد القدس على الإطلاق، حيث كتبها درويش بعد حرب حزيران، ممّا يشير إلى مدى تأثره بجرح القدس بعد النكسة، واختار درويش عنواناً عامّاً للقصيدة "تحت الشبابيك العتيقة" الذي يشير إلى الشبابيك العتيقة، والتي هي موجودة في حيفا وعكّا ويافا إضافةً إلى القدس، ولكن الذي يحدد هوية القدس هو الإهداء لا سيّما أنه يقرنه في القصيدة بالأسوار، فهي القدس لا غير، كما أن درويش كتب أيضاً نصوصاً نثرية للقدس تحديداً في كتابه "يوميات الحزن العادي" حيث تعتبر قطعة "تقاسيم على سورة القدس" هي الأقوى أثراً، وقد تكرر مضمون هذه القطعة عن القدس، في قصيدة "مزامير" وقصيدة "سرحان يشرب القهوة في الكافيتيريا"، من مجموعته الشعرية "أحبك أو لا أحبك" عام 1972، وتلقي القطعة النثرية "تقاسيم على سورة القدس" الضوء على قصيدته "تحت الشبابيك العتيقة"، حيث أن هناك تماثلاً في المضمون ما بينهما، فهما يحتويان على الحنين والاغتراب والسّفر والبعد التاريخي والهوية الوطنية، حيث كتب درويش كما ذكر سابقاً في قصيدته المهداة إلى القدس بعد النكسة فيخاطبها قائلاً:

"اسأليني: كم من العمر مضى حتى تلاقى
كلّ هذا اللون والموت، تلاقى بدقيقه؟
وأنا أجتاز سردابا من النسيان"[1]

[1] درويش، محمود: ديوان محمود درويش، دار العودة – بيروت ط8، 1981، ص170

حيث يخاطب درويش القدس المدينة إذ يلاقيها بعد سنوات طويلة حيث زارها فجأةً بعد حرب النكسة ويتم تفسير "فجأة" هنا أن العربي الساكن في وجدان درويش بل الفلسطيني لم يكن يتوّقع أبداً لقاءً مع مدينته ووطنه تحت بسطار الجندي الإسرائيلي بعد احتلاله للمدينة المقدسة، فكأن الزيارة كانت صفعة مؤلمة للتاريخ والوطن والوجدان، وضمير الأنا الذي يتكلم فيه درويش هنا هو ضمير حزين للغاية، وتحت وطأة الصدمة لذلك فهو عاجزٌ عن التعبير فيصمت:

"من يدي يهرب دوريّ..

وفي عيني ينوب الصمت عن قول الحقيقه!"[2]

ويعبّر درويش عن حبّه العميق للقدس، وكرهه الأعمق للاحتلال بعد أن دنسّها:

"أيّها القلب الذي يحرم من شمس النهار

ومن الأزهار والعيد، كفانا!

علمونا أن نصون الحب بالكره!

وأن نكسو ندى الورد.. غبار!"[3]

ثمّ في موقع من قصيدة " وعود من عاصفة" ، يغنّي لحبّه القدس، مدينة الجروح التي لا تنفض الدخان عن جبهة درويش ورئته، إذ يعيش في الإغتراب بعيداً عنها ويحنّ إليها، ولكن عندما يلاقيها يكون منفياً، وتصبح النجوم تراباً بعد أن يدوس المحتل تراب القدس ويدنسّة، فالقدس الجريحة هي الجرح الكبير نفسه في وجدان الأمة العربية وليس الفلسطيني فحسب، ومن هنا يصيح درويش ويعلن:

" لا بدّ لي أن أتباهى، بك، يا جرح المدينة

أنت يا لوحة برق في ليالينا الحزينة"[4]

---

[2] درويش، محمود: ديوان محمود درويش، دار العودة – بيروت ط8، 1981، ص170

[3] درويش، محمود: ديوان محمود درويش، دار العودة – بيروت ط8، 1981، ص170

[4] درويش، محمود: ديوان محمود درويش، دار العودة – بيروت ط8، 1981، ص182

يخاطب درويش القدس بثنائية المرأة، حيث يوّحد بين القدس والمرأة، ممّا يثير إلى الترابط الوجداني والحاجة والاتصال المتبادل، والحبل السّري الذي يربط درويش بالقدس الوطن حيث هي الوطن والتاريخ والتراث.

كانت الإشارة الأولى لصورة القدس عند درويش في قصيدة "تحت الشبابيك العتيقة" حيث يقول درويش في مطلعها:

"واقف تحت الشبابيك على الشارع

واقف، درجات السلم المهجور لا تعرف خطوي

لا ولا الشباك عارف"[5]

حيث يصوّر هنا معاناته كفلسطيني وشعوره بالضّياع، نتيجة الهجرة القسرية بسبب الاحتلال، وتشرده عن مدينته الأم ومدينته العاصمة، التي يخصّها في قصيدةٍ خاصّة معنونة باسمها "في القدس" حيث تحمل هم الحالة الفلسطينية، حيث يقول:

"فالمحبة والسلام مقدسان

وقادمان إلى المدينة

أمن حجر شحيح الضوء تندلع الحروب

صاحت فجأة جندية

هو أنت ثانية

ألم أقتلك؟

قلت: قتلتني ونسيت مثلك أن أموت"[6]

يؤمن درويش أن القدس مدينة المحبّة والسّلام لا بدّ أن يعود لها هذان التوأمان، وأن الحجر في الزمان الفلسطيني يحمل معاني كثيرة منها المقاومة ونهاية الاحتلال، فهي الأداة لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وهو رمزٌ للثورة التمرد، وأن الفلسطيني المقاوم في سبيل القدس عصيٌ على الموت ومستمرٌ في حالة

[5] درويش، محمود: ديوان محمود درويش، دار العودة – بيروت ط8، 1981، ص 169

[6] درويش، محمود،الأعمال الجديدة 51-52

النضال، أي أن الشعب الفلسطيني حيٌّ ولن يموت إلا بتحرير القدس، فالقدس هنا رمزٌ للحق الفلسطيني.

والقدس أيضاً هي الهوية والتاريخ والانتماء التي تنغرس في الذاكرتين الجماعية والفردية، وقد حرص درويش على إظهار ذلك في قصيدته الشهيرة "بطاقة هوية" من ديوانه "أوراق الزيتون" الصادر عام 1964 حيث أكد على الهويه الفلسطينية التي مقرها في قلب حدود فلسطين، ولكن درويش لا يكتفي بذلك وحسب، حيث ظل هاجس ترسيخ الهوية الفلسطينية يلاحقه، لا سيّما بعد عبرنة أسماء القرى والمدن الفلسطينية والشوارع كذلك، ممّا هدد بضياع الهوية، ولأن القدس هي القلب النابض في الجسد الفلسطيني، وهي بؤرة الصراع التاريخي والحضاري بين الفلسطيني وعدوّه، حرص درويش على ترسيخ القدس الهوية في قصائده، فها هو يقول:

"في القدس، أعني داخل السور القديم
أسير من زمن إلى زمن بلا ذكرى
تصوبني .فإن الأنبياء هناك يقتسمون
تاريخ المقدس...يصعدون إلى السماء
ويرجعون أقل إحباطاً وحزناً، فالمحبة
والسلام مقدسان وقادمان إلى المدينة"[7]

من الملاحظ أن درويش في هذه القصيدة ينكر على الآخرين الاختلاف في تحديد هوية المكان، بالرغم من رؤية حجارة حجارة القدس الشفافة، التي تتراءى من خلفها مشاهد التاريخ العربي الإسلامي،

[7] درويش، محمود،الأعمال الجديدة 51-52

فالإسراء والمعراج والنبي محمد والعربية الفصحى، كلّها أدلة دامغة على هوية القدس العربية، ممّا يعني أن الفلسطيني يمتلك التاريخ والجغرافيا الفلسطينية دون غيره، ويشهد درويش على ذلك بقوله:

"لا أرى أحداً ورائي،

لا أرى أحداً أمامي،

كل هذا الضوء لي"[8]

ولا يغيب عن خاطر درويش أن بلمّح إلى استمرارية الصراع بيت الفلسطيني والآخر المحتل في القصيدة ذاتها، وذلك حين ينسى للفلسطيني أن يموت.

حيث يضفي درويش على نصّه الشعري قدراً من القداسة وتمهيد للقدرة الإنسانية لحماية الوجود والذات الفلسطينية وتأكيد هويتها الإنسانية والوطنية، مقابل محاولات الآخر المميتة لإسقاط الأحقية التاريخية في القدس، وضرورة الحفاظ على هويتها في الشتات وفي الداخل، فالفلسطيني ورث الأرض عن أجداده ومفتاح المنزل كذلك، بل ومفاتيح القدس لذلك هو يعلن تاريخ ميلاده الذي يضرب عميقاً في أرض فلسطين، ويحرص درويش على تثبيت وتحقيق كينونته وهويته الفلسطينية والإنسانية، ويرفض البكاء على القدس كما يرفض الحلول المثالية، ويؤكد على تحقيق الحلم الفلسطيني في العودة، الذي هو الوطن والتاريخ عندما يدل على مأساة أطفال فلسطين من خلال رمز أطفال بابل في القصيدة، هؤلاء الأطفال المنفيين والمتشردين بسبب الاحتلال، قسراً خارج الوطن ولكنهم:

"قريباً تحصدون القمح من ذاكرة الماضي

قريباً تكبرون

بالتسبيح المقدس للرب هللويا"[9]

ممّا يشير إلى أن الضمير الفلسطيني سيكبر ويكبر الوطن في قلبه، والعزم والإصرار على استعادة القدس والوطن الفلسطيني، حيث:

"ونغني القدس

---

[8] درويش، محمود،الأعمال الجديدة 51-52

[9] درويش، محمود، ديوان محمود درويش. 399

يا أطفال بابل

يا مواليد السلاسل

ستعودون إلى القدس قريباً"[10]

وللقدس صورة أخرى في وجدان درويش الشعري، فهي تعادل الاحتلال من جهة والمقاومة من جهة أخرى، وذلك لما فرضه واقع الاحتلال المرّ الذي أباح لنفسه امتلاك الجغرافيا والتاريخ والإنسان الفلسطيني، بعد أن شرد بفعل القوة، حيث يؤمن أن وجوده يقوم على نفي الأخر الفسطيني، وهويته القومية والوطنية عن طريق النفي الفعلي عن فلسطين والقدس الوطن، والنفي المعنوي بالإذلال والقهر، فضلاً عن سياسة الترحيل وخاصةً عن القدس بتفريغها من سكّانها الأصليين، ومن هنا يستحضر درويش هذا المشهد المأساوي في قصائده، حيث يتحوّل وينقلب الفرح إلى ترح والزغاريد إلى نواح والعريس إلى شهيد، إلا أن درويش يرى أن دم الفلسطيني سفن الرجوع والعودة إلى حيفا ويافا والقرى بعد أن صعد المنفيون على سلالم سلاسل قيدهم، ودقّو جدران العصر بأيديهم المضرجة بالدم الزكي، وذلك في قصيدته "طوبى لشيء لم يصل":

"وعلى حدود القدس

أفلست الحواس، وحاسة الدم أينعت فيهم

وقادهم إلى الوجه البعيد

هربت حبيبتهم إلى أسوارها وغزاها

فتمردوا

وتوحدوا

في رمشها المسروق من أجفانهم"[11]

ويواصل درويش حيث أن الفلسطيني بالرغم من كل التحديّات إلّا أنه سريعاً ما يشتد ساعده ويسعى إلى القدس، بعد أن تسّلح بسلاح ماديّ ومعنوي وعسكري، وذلك ما يوصي به التناص القرآني بالاستعداد

[10] درويش، محمود، ديوان محمود درويش. 398-399

[11] درويش، محمود: ديوان محمود درويش، دار العودة – بيروت ط8، 1981،ص508-509

بالقوة ورباط الخيل، وذلك للدفاع عن ذاكرة القدس، وسيستمر في التناص بذكر معاناة يوسف عليه السلام، من غدر وخيانة أخوته وكأنه الفلسطيني الذي يعاني كذلك.

أما فعل المقاومة فيظهر في قصيدة "الأرض" حيث يحتفظ درويش بسر الأرض في شهر آذار وتحكي حكاية أنبيائها كل الهياكل:

"وفي شهر آذار تستيقظ الخيل
سيدتي الأرض
كأن الهياكل تستفسر الآن عن أنبياء فلسطين في بدئها
المتواصل
هذا اخضرار المدى واحمرار الحجارة
هذا نشيدي"[12]

ولقد تشكلّت مدينة القدس في شعر محمود درويش من خلال محورين أساسيين أولهما تمحور حول التاريخ والهوية والثاني تمحور حول الاحتلال والمقاومة، فالمحور الأول يرتكز على موضوع فلسطين بتاريخها العريق والجغرافيا، وهذا الذي شكّل هوية الكاتب. أما المحور الثاني، قد ارتكز على الحياة القاسية التي عاشها الفلسطينيون بعد الاحتلال الصهيوني، وفي شعره يتبيّن أن محمود درويش شاعر ومواطن متمسّك ومدافع عن حقه ووطنه وهذا الذي جعله يمر بتحديّات مع القوّات الصهيونية واعتقاله من قبلهم، القدس هي من أكثر المدن ان لم تكن الأكثر أهمية قي أشعار محمود درويش، وقد ظهر اسم القدس كثيراً في ديوان "أُحبك أو لا أُحبك".

درويش ينظر إلى القدس المحتلة بالجريح بسبب الاحتلال الصهيوني الذي جرح الهوية الفلسطينية، فيرى بأن الاحتلال قد أزال ملامحها، مزق هويتها، غيّر أسماءها العربية وقام بتفريغها من سكانها العرب، وفي قصيدته "سرحان يشرب القهوة في الكفتيريا":

"هنا القدس

[12] درويش، محمود: ديوان محمود درويش، دار العودة – بيروت ط8، 1981،ص621-622

يا امرأة من حليب البلابل كيف أعانق ظلي

وأبقى ؟

خلقت هنا.. وتنام هناك

مدينة لا تنام وأسماؤها لا تدوم. بيوت تغيّر

سكانها. والنجوم حصى

وخمس نوافذ أخرى، وعشر نوافذ أخرى تغادر

حائط

وتسكن ذاكرة.. والسفينة تمضي"[13]

هنا في هذه القصيدة، استخدم الكاتب بعض الدلالات والإشارات اللّغوية من خلال الأبيات لتصوير تراجيدية الحياة في القدس، ودرامية الحياة التي يعيشها القدس تحت الاحتلال، وذلك من قوله "هنا القدس"، فهذا المقطع من القصيدة هو ذو ثنائية تقابلية منقسمة لشقين؛ الشّق الأول فيها يشير إلى مكانة محمود درويش ووجوده التاريخي في القدس وهذا عندما يقول الشاعر"خلقت هنا"، أما الشّق الثاني فهو يدل على فقدان مدينة القدس التي لا يملكها الكاتب امتلاكاً فعلياً، ونجد أن من خلال بعض الجمل المستخدمة ينفي فيها الكاتب سلطة الفلسطيني على مدينة القدس ويتبين هذا من قوله "ينام هناك" وليس "هنا"، أيضاً، فهناك بعض الجمل المستخدمة تؤكد فقدان مدينة القدس ويؤكد عمق تراجيدية الفقد؛ مثال على ذلك "أسماؤها لا تدوم" و"بيوت تغيّر سكانها" و"السفينة تمضي"، فهذه الكلمات أيضاً تؤكد عمق الجرح الذي ينفتق من استيقاظ الغرباء في بيوت الفلسطينين.

[13] درويش، محمود: ديوان محمود درويش، دار العودة – بيروت ط8، 1981،ص451

الفصل الثاني

المدينة العربية

وكان للمدينة العربية أيضاً مكان مهم في قصائد درويش، حيث إن الشاعر محمود درويش قد كتب الكثير عن المدن العربية، كتب في قصائده عن بيروت ودمشق وبغداد والقاهرة وعدن وغيرها. وسيتم تسليط الضوء هنا على اثنين من أهم المدن ألا وهي بيروت ودمشق.

بيروت في شعر محمود درويش:

استطاع شاعرنا أن يعبّر عن مشاعره نحو بيروت كمدينة عاش فيها سنوات عدّة هذه الأبيات "**ببروتُ خيمتُنا الوحيدة، بيروتُ نجمتُنا الوحيدة**"[14] من قصيدة بيروت التي من خلالها ، بيروت كانت المأوى لمحمود درويش من سنة 1973 – 1982، بعدما خرج درويش من وطنة بسبب المضايقات والملاحقات التي لم تكف عنها السلطة الإسرائيلية، بعد أن استقر في بيروت، تعمّقت جروحه وزادت معاناته بسبب ما رأى من الاحتلال، وبعد أن شهدت عيناه الانفجارات والمذابح في فترة الحروب الأهلية في بيروت والمحاصرة الصهيونية لبيروت، ولكن منها ايضاً أدرك قوة وصمود المقاومة الفلسطينية وصبرها، ومن هذه المرحلة القاسية التي عاشها درويش استطاع أن يكتب أجمل أشعاره: قصيدة بيروت ومديح الظل العالي وأحمد الزّعتر. فهذه القصائد الثلاثة جميعها مالت إلى المسرحية والدراما القصصية.

ارتبطت الفراشة بمدينة بيروت في قصائد محمود درويش، علماً بأن الفراشة كان لها مكان خاص في شعر درويش بشكل عام. وهنا مقطع من "قصيدة بيروت" من ديوان حصار لمدائح البحر يربط بيروت بالفراشة:

"تفاحة للبحر، نرجسة الرخام،
فراشة حجرية بيروت. شكل الروح في المرآة،
وصف المرأة الأولى ورائحة الغمام"[15]

[14] درويش، محمود، حصار لمدائح البحر،عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ص119
[15] درويش، محمود، حصار لمدائح البحر،عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ص117

هنا الفراشة ليست كالفراشة التي اعتدنا عليها، بسيطة أو بل هي قوية حجرية، ممّا يقود إلى الاستنتاج بأن الفراشة هي بيروت الصامدة القوية، المبنية من الحجر الصلب الصامد أمام العدو، وهذا لا يعني بالحرف أن بيروت مبنية من حجر، بل أن بيروت قويّة كالحجر تصدّ هجمات العدو.

وقد احتوت قصيدة بيروت أيضاً على رموز كثيرة، ففي المقطع السابق تعيش بيروت صراع بين البقاء والفناء بوصفه لبيروت بالنرجسة والتفاحة، أما في المقطع الذي يلي هذا المقطع:

"بيروت من تعب ومن ذهب واندلس وشام
فضة، زبد، وصايا الأرض في ريش الحمام.
وفاة سنبلة تشرد نجمة بيني وبين حبيبتي بيروت.
لم أسمع دمي من قبل ينطلق باسم عاشقة تنام على دمي..."[16]

بيروت هي باب الموت والفناء، وهذا من خلال وصفه بالتشرد والفضة والزبد والرخام.

أما في قصيدته "مديح الظل العالي" التي كتبها والتي يخص فيها مدينة بيروت يكشف درويش عن علاقته بالمدينة، وهي علاقة قوية صعب فهمها ودراستها بسرعة، ففي افتتاح القصيدة يقول الشاعر "**هيّأنا لبيروت القصيدة كلّها**"[17]، بما معنى أن القصيدة هذه هي فقط من درويش لمدينة بيروت ليعبّر فيها عن مشاعره نحو المدينة التي ساندته وعاش الكثير من الوقت فيها. في قصيدة "مديح الظل العالي" لجأ درويش إلى ثلاث دلالات مهمة وهم أساس القصيدة: أولاً الدلالة الصوتية، ثانياً الدلالة الصرفة والنحوية، ثالثاً الدلالة المعجمية.

إن تكلمنا عن الدلالات الصرفية ونحوية، ممكن الحديث عن الاساليب الإنشائية المستخدمة ودورها في تغيير صياغة الشعر ليتناسب مع شعور وتفكير الشاعر. فهناك الكثير تحت هذه الدلالات ولكن البحث سيكشف فقط أهم الدلالات المرتبطة بالمدينة بيروت. فأحد الأساليب التي لعبت دور هام في هذه القصيدة، هو الأسلوب الاستفهامي، الذي استخدمه درويش ليبرز الحيرة التي تمتلئ صدره، الحيرة حول

---

[16] درويش، محمود، حصار لمدائح البحر،عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ص117
[17] درويش، محمود، *مديح الضل العالي*، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ص7

مستقبل بيروت الذي هو يشابه مستقبل فلسطين المجهول، كلاهما يشغل بال الشاعر. مثال على ذلك من القصيدة يكون الاستفهام ب(هل):

"والآن، والأشياء سيدة، وهذا الصمت يأتينا سهاما

هل ندرك المجهول فينا؟

هل نغني مثلما كنا نغني؟

آه، يا دمنا الفضيحة...

هل ستأتيهم غماما؟"[18]

هذا المقطع من القصيدة يظهر سخرية درويش اتجاه العرب وسكوتهم أمام المجازر التي تحدث في لبنان، متسائلاً بحيرة إن كان العرب سينتفضون في وجه المحتل بعد نومٍ عميق وغياب طويل.

أما بعد الاستفهام ب(هل) أتى الاستفهام ب(من)، فهو الآخر استِخدم من قبل درويش ليطرح موضوع آخر اتجاه بيروت، ولأن بيروت هي الأحب على قلب درويش بعد مدن فلسطين، ولإنه قضى طفولته وكانت جزء من حياته فلذلك فبعض الترسبات والاسترجاع الزمني والمقارنة بالوقت الحالي وبالمجازر والاحتلال الإسرائيلي قد يؤلمه، ولذلك يتسائل درويش من خلال الأسلوب الاستفهامي عن السبب الذي جعل بيروت من كل المدن بالذات تتعرض لهذا الاحتلال الشرس في المقطع التالي من القصيدة:

"وبيروت اختبار الله

يا الله جربناك ، جربناك

من أعطاك هذا اللغز ؟

من سمَّاك ؟

من أعلاك فوق جراحنا ليراك؟" [19]

أما عن الدلالات المعجمية في قصيدة مديح الظل العالي، لعبت الأوقات والأزمنة المختارة أيضاً دور في هذه القصيدة، فدرويش أراد من الأوقات والأزمنة المستخدمة بأن يدل على دلالات حقيقية ومثال على ذلك هو "بيروت/ ليلاً":

---

[18] درويش، محمود، *مديح الظل العالي*، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ص16

[19] درويش، محمود، *مديح الظل العالي*، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ص10

"يقصفون مقابر الشهداء، يتدثرون بالفولاذ

يضطجعون مع فيتياتهم، يتزوجون، يطلقون، يسافرون

ويولدون ويعملون ويقطعون العمر في دبابة"[20]

هنا في هذا المقطع، يريد درويش أن إظهار كل الأحداث الجارحة هذه من قصق مقابر الشهداء إلى الاضطجاع مع فتياتهم، كل هذه الأحداث المكروهة تحدث في ليل بيروت المظلم الهادئ، فما بالك عندما تكون المدينة التي تحبها قد توسخت من قبل المحتل، العشق والارتباط الذي يجمع ما بين درويش ومدينة بيروت هو الذي أشعل بؤكان الحقد اتجاه المحتل، ولكن قد يكون أيضً عمّق محبة بيروت وزاد من الإصرار في فك حصارها من المحتل.

أخيراً، ايضاً في هذه القصيدو استخدم الكاتب الحيوان كدلالات والتي كانت أغلبها طيور، يقول الشاعر: **يتوقف العصفور عن إنشاده**[21]، يريد درويش من هذه العبارة أن يوصل الدرجة السيئة الذي وصل إليها حال بيروت، إلى درجة جعلت العصافير والطيور حزينة وغاضبة وحاقدة على ما يحدث لمدينتهم هي وأختها فلسطين. وفي مقطع ثاني من القصيدة يقول درويش:

"يروت / عصراً:

تكثر الحشراتُ.

تزدادُ الرطوبةُ

ترتخي العضلاتُ

نشعر أن للأرض احتفاناً في مفاصلنا

فنصرخ: أيها البطل انكسِرْ فينا"[22]

مما أيضاً يدل على الحالة المأساوية التي وصلت لها بيروت، فأصبحت الحشرات تنتشر في الأرض لتغطي دماء أهل بيروت.

---

[20] درويش، محمود، *مديح الضل العالي*، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ص39

[21] درويش، محمود، *مديح الضل العالي*، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ص31

[22] درويش، محمود، *مديح الضل العالي*، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ص 34

دمشق في شعر محمود درويش:

كانت دمشق أو الشّام إحدى المدن العربية التي زارها درويش في حياته، وهي إحدى المدن التي أثّرت في نفسية درويش، استطاع درويش من خلال هذه المدينة العريقة الكتابة بشغف حد الجنون عنها في أكثر من قصيدة له لدرجة أنه خصّص بعض القصائد لدمشق مثل قصيدتي "طوق الحمامات الدمشقي" و"طريق دمشق"، وقد وصف دمشق بأوصاف رائعة ميّزتها عن المدن الأخرى، كغيره من الشعراء العرب الكثيرين، فبعضهم وصفها بشامّة الأرض والآخر وصفها بجنّة الدنيا.

لقد وصف درويش في قصيدته القصيرة "طوق الحمامات الدمشقي" المدينة بأوصاف جميلة معبّرة، من هذه القصيدة يتبيّن أن درويش هو مثله مثل بقية الشعراء يحبّون فيها حضارتها، ظلالها وبالأخص طيورها الجميلة، في هذه القصيدة لم يصف الشاعر المدينة فقط، بل هو عبّر عن مشاعره اتجاهها وأيضاً حاول أن يجعل القارئ يرى مدى عراقة الشام أو دمشق تاريخياً وثقافياً ودينياً، وهذا كان من خلال استخدامه لعبارة "في دمشق".

"في دمشق
تطرز أسماء خيل العرب،
من الجاهلية حتى القيامة
أو بعدها،
بخيوط الذهب"[23]

يخاطب درويش هنا دمشق من ناحية تاريخية عريقة لتصبح حلماً يراود الشاعر. يعدد فيها البطولات التي قدمتها الأسماء العربية قديماً من الجاهلية حتى القيامة، ومن ثمّ يتساءل بقوله "أو بعدها"، العرب في المستقبل، كما يحلم الشاعر، تطريز أسماء خيولها بخيوط من ذهب، كما فعلو العرب قديماً. فهنا ندرك تماماً أن المدينة دمشق عند الشاعر هي مدينة تاريخية أنجبت الأبطال العرب قديماً وحاضراً،

[23] درويش، محمود، سرير الغريبة، رياض الريس للكتب والنشر، ص52

وها هو يرى ويحلم بأن مستقبل دمشق سيكون كتاريخها العريق، ومن هذه الرؤية بأن ماضي وواقع دمشق سيكتب، هذا الحلم الجميل استطاع الشاعر كتابة هذه القصيدة.

الخاتمة

يوافق هذا البحث على أن للمدينة مكاناً بارز في الأدب العربي المعاصر، فالكثير من الأدباء استخدموا وكتبوا عن كثير من المدن في أعمالهم، لا سيّما الشعراء منهم، فكان الشاعر عندما يوصف أو يعبّر عن مدينة معيّنة يلجأ إلى الذكريات والترسبات وشعوره اتجاه هذه المدينة نتيجة لأسباب خاصّة تربط المدينة بالشاعر، قد تكون ظروف مرّ بها الشاعر تذكره في المدينة، أو قد يكون الحنين والاشتياق للمدينة أو وطنيته وهويته، فالكتابة عن أي مدينة لا يكون من خلال دراسة علمية يوصف فيها الكاتب السياسة والجغرافيا. وإن لم تكن مدن عاش فيها وعاصرها، تاريخية على سبيل المثال، يكون هنا الكاتب قرأ واستطلع عن المدينة بالإضافة إلى الشعور الباطني اتجاه هذه المدينة. في هذا البحث، أخذت الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش مثالاً لهؤلاء الشعراء الذين أخذت المدينة مكانة مهمة في أشعارهم وقصائدهم. ارتبط اسم محمود درويش بالثورة والوطنية ولهذا كان هو الشاعر المناسب للكتابة والبحث عنه.

ألف درويش العديد من القصائد والدواوين والتي ذكر فيها وتكلّم عن بعض المدن التي زارها وعاش فيها، فقسمت البحث لفصلين، الأول عن المدينة الفلسطينية ألا وهي القدس والفصل الثاني عن المدينة العربية بالأخص مدينة بيروت ومدينة دمشق ومدينة بيروت.

يكشف البحث عن الأسلوب والطريقة التي استخدمها درويش ليكتب عن ويناقش المدينة الفلسطينية بوصفها أنها مدينة عربية مهمة مرّت على التاريخ، كما يكتب في قصائده عن مقاومة فلسطين لاحتلال الآخر المحتل، وأكد تمسكه بمدينة القدس وإرادته باستيعادها واستيعاد الحق التاريخي، وهذا ما بيّن علاقته الروحية بها. ففي جميع قصائده ودواوينه المدروسة، يلجأ درويش لاكثر من وسيلة كي يعبّر عن حبّه للقدس ووطنيته، فمن هذه الوسائل كانت توظيفه للتاريخين الإسلامي والعربي والكتابة عن ناريخ الأنبياء فيها، كي يثبت هذه الهوية المقدسية التي يعتز بها. علاوة على ذلك فإن درويش استخدم المقاومة للاحتلال ليمثلها وكأنها هي الدفاع عن وجوده الإنساني وهويته الفلسطينية، بالأخص في استخدامه لضمير المتكلم أنا، الذي لعب دور هام في إظهار القوة والعنفوان الحاد في القصيدة،

ليرمز إلى المقامة وأهمية الثورة لاستيراد الوطن. وأخيراً نرى استخدام الكاتب التناص الديني المستمد من الكتب السماوية، ليستذكر ويرجع بالزمن لأيام الأنباء الذين دافعوا عن هذه المدينة، ومن هنا بعبّر عن اشتياقه والحنين الذي ينبعث منه اتجاه هذه المدينة.

أما في الفصل الثاني من البحث عن المدينة العربية في شعر محمود درويش، يكشف البحث عن أساليب أخرى ممكن للشاعر استخادمها عند الكتابة عن المدينة، نلاحظ أن درويش لجأ إلى الأساليب اللّغوية والدلالات الصرفية والنحوية والمعجمية ليعبّر عن حبّه ومدى استيائه من الذي يحدث في بيروت وأيضاً استخدام الدلالات ليصف حال بيروت المؤلم، أيضاً، وصف درويش مدينة دمشق بأوصاف معبّرة كما هو وجدها عندما زارها بنفسه، بالإضافة إلى أنه لجأ للتاريخ ليعبّر عن عراقة هذه المدينة، فهو أيضاً يكتب في شعره عن حلمه بأن تبقى دمشق بعراقتها وتستمر في إنجاب الأبطال. فالبحث بأكمله يؤكد ويكشف الطرق التي استخدمها كاتبنا محمود درويش في تعبير عن المدن التي زارها، إن الفصلين من البحث أيضاً أكدوا أهمية العلاقة التي تربط بين الشاعر والمدينة ليستطيع الشاعر الكتابة عنها. لا شك أن هذا الموضوع لا يتوقف فقط عند المدن التي قمت بالبحث عنها، بل قد تكون القدس وبيروت ودمشق باب للباحثين في هذا الموضوع فيقودهم للبحث في مدن أخرى.

المصادر والمراجع:

المصادر:

- درويش، محمود: *ديوان محمود درويش*، بيروت: دار العودة، الطبعة الثامنة، 1981.
- درويش، محمود، *سرير الغريبة*، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الثانية، 2000. http://www.kutubpdf.net/onlineread.html?rid=7516
- درويش، محمود، *حصار لمدائح البحر*، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى للناشرين 2014.
- درويش، محمود، *مديح الضل العالي*، عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى للناشرين. 2014.
- درويش، محمود، *الأعمال الجديدة*، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى، 2009.

المراجع:

- موسى، ابراهيم. "القدس بين نقوش الهوية واشتعال المقاومة في شعر محمود درويش." *Anaquel de Estudios Árabes*. Birzeit University. 2011.
http://www.darwishfoundation.org/userfiles/Mousa.pdf
- "نبذة حول الشاعر: محمود درويش" *الموسوعة العالمية للشعر العربي، 2005، 5 ديسمبر 2014*
http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=ssd&shid=334
- علي أبو غالي، مختار. *المدينة في الشعر العربي المعاصر. الكويت:* عالم المعرفة، 1978.
- الأسطة، عادل. "مدخل لقراءة موضوع المدينة في شعر درويش". *ديوان العرب. يولو 2007. 2014*
http://www.diwanalarab.com/spip.php?article9690.
- بن مالك، آمنة، "قصيدة *"مديح الظل العالي" لمحمود درويش دراسة دلالية" قسطنطينية:جامعة الإخوة منتوري. 2009. 6 ديسمبر 2014*
http://bu.umc.edu.dz/theses/arabe/ADJA3053.pdf